

1999

## فئة الحراطين في المجتمع التمارتي "ملاحظات أولية"

شفيق أرفاك

arfagchafik@gmail.com, كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>

 Part of the [History Commons](#)

---

### Recommended Citation

"أرفاك, شفيق (1999) "فئة الحراطين في المجتمع التمارتي "ملاحظات أولية" *Dirassat*: Vol. 9 , Article 3.  
Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol9/iss9/3>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aarj.edu.jo](mailto:rakan@aarj.edu.jo), [marah@aarj.edu.jo](mailto:marah@aarj.edu.jo), [u.murad@aarj.edu.jo](mailto:u.murad@aarj.edu.jo).

---

## فئة الحراطين في المجتمع التمنارتي "ملاحظات أولية"

### Cover Page Footnote

ألقيت هذه المحاضرة في المحور الأول من ندوة التجارة والمجتمع في سوس خلال القرن 19، التي نظمتها مجموعة \* البحث والتوثيق التاريخي برحاب كلية الآداب بأكادير، 12 و13 مارس 1996.



للبحث في جذور كلمة «الحراطين»، لا بد من الاعتماد على معايير ثقافية واجتماعية لها صلة بالمحيط الذي نشأت فيه، فأغلب الباحثين يربطونها بكلمة «أحرضان» المتداولة بين أوساط الصنهاجيين والزناتيين الذين نشروها في الواحات المتاخمة للصحراء قبل مجئ عرب بني معقل خلال القرن 13 الميلادي على الأقل (2). ومن بين مدلولاتها (3): الإنسان ذو البشرة السوداء أو ذو البشرة الميالة الى الاحمرار.

ويوجد ما يقابلها لدى التوارك : أشرضان assârdan (4)، غير أن تداول كلمة «أحرضان» أو «الحرطاني» يبقى محدودا (5)، حيث تستعمل كلمات أخرى منها : «الدرراوي»، «الخماس» = أخماس، بينما تبقى كلمة «أسوقي» ومعناها «الأسود» هي الأكثر شيوعا في الوسط التمنارتي. وثمة مواقع معلومة تنسب للسود منها :

- تزكي إيسوقين التي تعرف الآن بتزكي الحراطين والتي اشتهرت منذ العاشر الميلادي (6).

- إيحونا إيسوقين في مجال سُموكن شمال أكرض.

(2) Mezzine; (L), "Le Tafilalt, Contribution à l'histoire du Maroc au XVII et XVIII siècle" ed 1987 p.193 note 34.

(3) راجع :

Meunié, (Dj): "Hiérarchie Sociale au Maroc Présaharien" dans Hespéris, 1958, 3°, 4° trim.T.XIX pp: 243-255.

وهناك من يربط الاسم بأمور الزراعة، راجع :

E. Laoust, "Mots et Choses Berbères", ed 1920, Paris pp 268, 269 et 287.

(4) Ch. de Foucauld, Dictionnaire Touareg-Français, Paris 1952, p. 104.

(5) يوجد موقع بإيسافن بين إغرم وطاقا يحمل اسم تاوريرت إحرضان. راجع م. المختار السوسي: خلال جزولة، تطوان، المطبعة المهدية، الجزء 3، ص. 96.

(6) ضمن مقاطعة فم الحصن، راجع :

- Ch. de Foucauld, Reconnaissance au Maroc (1883-1884), Paris 1888, p. 316.

- Meunité (Dj), Le Maroc Saharien, des origines à 1670, ed. 1982, p. 210, note 10.



من الباحثين الأوربيين عن الفكرة التي كانت تريد ان تجعل من المغرب الصحراوي منطقة استقطاب لمادة الرقيق الأسود باعداد مبالغ في تقديرها (13).

إن كتابات اغريقية ورومانية وروايات متداولة بدرعة وواد نون وأسا تؤكد صيرورة الصراع بين «الاصلاء» و«الدخلاء» (14). رغم ذلك فإن الماضي حسب جاك بيرك يشهد بتجمع جنوب المغرب قبل القرن الاول الميلادي (15)، إذ يمكن القول إن الحراطين والعناصر الدخيلة المندمجة لم يعرفوا تفككا في بنيتهم المجتمعية إلا بعد ضغوطات رومانية مورست على الجزوليين، اندفعوا علي اثرها نحو جنوب الاطلس (16). مما نتج عنه -بدون شك- انفصال حراطين جبل باني (الغرب) عن بقية حراطين الواحات الجنوبية ودخولهم في الاتحاد الجزولي الذي سيعزز بوصول الصنهاجيين الى السلطة في عهد المرابطين (17).

لقد لقي الجزوليون منافسة من أحد فروع بني حسان وهم «المغافرة» إلا أنهم سرعان ما جلوا عن المكان لجذب أصاب البلاد (18) لذلك احتكرت عائلات معظمها جزولية الاصل (19)، السلطة السياسية والدينية منذ القرن العاشر الهجري، ولم تؤد هذه

(13) قارن مثلا بين:

Mauny (R) Tableau géographique de l'Ouest Africain au Moyen Age, Mém de L'IFAN N61, Dakar 1961, p. 379.

Meunié (Dj), op.cit.. p. 770.

كما نوقشت هذه القضية في أبحاث جامعية من انجاز باحثين مغاربة أكفاء: راجع على سبيل المثال لا الحصر:

Tamouh (z), le Maroc et le Soudan au XIX siècle (1830-1894), Thèse de 3ème cycle. Sorbonne I, Paris, 1982.

(14) Meunié, (Dj), op.cit., Chapitres, 1, 2, 3, V. 1.

(15) عن أحمد التوفيق: المجتمع المغربي في القرن 19 (إينولتان 1850-1912)، الطبعة الثانية، كلية الآداب بالرباط، ص. 51.

(16) Meunié (Dj), op.cit., p. 167-172.

(17) راجع مقالنا «المجتمع التمنارتي» (م.س).

(18) م.م. السوسي، خلال جزولة، الجزء 3، ص. 26.

(19) أقدمها عائلة «آل الأشغر» التي انقرضت الآن، وأشهرها عائلة محند أوبراهيم الشيخ التمنارتي، المعروفة بالمرابطين، راجع م.م. السوسي، خلال جزولة ج 3، ص. 15.



يعزى قلة «البيض» بعاصمة الواحة: أكرض الى رحيل اثني عشر فخذاً من الاسر الجزولية واستقرارها برأس وادي سوس وتارودانت وحاحة، اثر الخراب الذي لحق بالحصن على يد الحربليين والمرابطين وبتزكية من محمد العالم ؛ ابن السلطان الاسماعيلي سنة 1706م (26).

- كان مدشر «قصة ناي حربيل» (27) هو الوحيد في مجموع الواحة الذي تقل به العناصر السوداء، وتعززت ساكنته بالمطرودين من المرابطين.

نتساءل : هل كانت لعملية جمع الحراطين بالمغرب في عهد المولى اسماعيل تأثير على البنية المورفولوجية لساكنة الواحة؟ وكم كان عدد الحراطين الذين كانوا يتربصون بالقلع الصحراوية؟ ولمقاربة هذا التساؤل يستشف من رواية «محمد الزكري» (28) التي تفتقر الى سند تاريخي، أن الأمر يتعلق بحفدة العبيد المجلوب من السودان منذ عصر السلطان أحمد المنصور الذهبي، الذين ما فتئوا أن عادوا الى موطن آبائهم.

وإذا كانت كل هذه الحيشيات تؤكد على كثرة عدد الحراطين، فإنهم غيبوا جزئياً عن الحياة السياسية لصالح «التدخلاء» البيض. لكن ليس بنفس الصورة القطعية التي نلمسها في مجتمع تافاللت (29)، إذ كان معظم شيوخ مداشر واحة تمنارت من الحراطين وينضون تحت امرة القيادة الكثيرة بأكرض (30).

كما أن لهذه الفئة دوراً كبيراً في احتفاظ الواحة على توازنها السياسي بين مجموعتين: الكثيريون المساندون من لدن حلف تكزولت وبين أيت حربيل التحكياتيون.

(26) م.م السوسي: المعسول، طبعة البيضاء 1960، ج. 20، ص. 231.

(27) م.م السوسي: المعسول ج. 20 صفحات 231، 232 و 264.

(28) م.م السوسي من أفواه الرجال، ج. 1، ص. 21.

Mezzine (L) le Tafalalt, op.cit, p. 338 et 339.

(29)

(30) هناك استثناءات، منها على سبيل المثال لا الحصر، ما نجده في مدشر أفأيفغان، بعيد عن واحة تمنارت بقم زگيد، حيث كان على رأس ساكنته وكلهم من الحراطين، رجل من البيض يدعي ابراهيم بن الخزرا انظر: م.م السوسي: من أفواه الرجال 1، ص. 140.





البنية المجتمعية للجماعات داخل القبيلة المغربية (39) ويستشف ذلك من كلام الاكبراري حيث يقول : « وهم أيضا -الحراطين- إخوان أفضل النبيئين وأجل المرسلين ( ... ) ولهم المرتبة العليا، وإن كانوا ظاهراً في السفلى، وإن انحط قدرهم من جهة حام، بعصيانه دعوة آدم عليه السلام، فلهم المزية من الجهة الأخرى، وفاقت هذه اليمنى تلك اليسرى » (40).

بالمقابل كان العبيد يشعرون بالمفاضلة مقارنة مع الحراطين، بانتسابهم الى سيدنا بلال مؤذن الرسول عليه السلام. لذلك يعتبرون أنفسهم عبيدا اقحاحا (إسمگان إهوران) (41). ولعل مرد ذلك لما يشكلونه من قلة في الواحة، ولما يتمتعون به من حماية من أسيادهم ومالكهم الذين صرفوا الشيء الكثير لجلبهم من السودان (42).

إن هذا التباين فرض -على ما يبدو- على حراطين تمنارت البحث عن تعويض لدرء النقص، إذ غدوا يتمتعون بامتيازات معنوية : منها على الخصوص، أنهم «لايزالون ينحاشون الى مشهد الشيخ محند أوبراهيم التمارتي، ويستأثرون بجزء من الذبائح على قبره من رؤوس وأكارع وما تحويه البطون، وبجميع الجلود وبربع كل ذبيحة، ولايزال ذلك مألوفاً وقانوناً متبعاً» (43). وكان ذلك بسبب «ملاقاه الشيخ منهم أثناء قدومه الى أكرص (سنة 930هـ) من نصح واحترام وتجلة لم يرها من البيض (44)»، «فاختصهم بمحبته» (45).

كما أن قواد تمنارت المتعاقبين على القيادة الكثيرة، كانوا يكلفون باستمرار أحد الحراطين بتسيير شؤون ضريح الشيخ ويشارطونه على ذلك (46).

(39) عبد الله حمودي : الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة والقداية، ملاحظات أولية حول أطروحات گلنير، ترجمة ع السبتي وع الفلق، مجلة كلية الآداب، الرباط 1985، ع. 11، ص. 202.

(40) الإكبراري مصدر سابق، الترجمة 17.

(41) تنطبق هذه الملاحظة على كل العبيد، راجع: مصطفى ناعمي، قوافل...، ص. 66، هامش 13، مرجع سابق.

(42) Menuié. (Dj) op.cit, p. 770.

(43) محمد المختار السوسي، من أفواه الرجال 2، ص. 791، وتفيد الرواية الشفوية، أن هذا الوضع عرف بعض التغييرات الطفيفة حالياً.

(44) محمد المختار السوسي، خلال جزولة 3، ص. 15.

(45) محمد المختار السوسي، المعمول 7، ص. 17.

(46) محمد المختار السوسي، من أفواه الرجال، ج. 2، ص. 79-80.



الزراعة (53) مارست ثلثة منهم الحرف وخاصة الحدادة والتجارة، وفيهم من كان وكيلا للأسرة الكثيرة بالصحراء والسودان (54) غير أن نفاذ معدن الفضة والنحاس في بعض الاستغلالات (55) المعدنية، وتراجع مداخل تجارة السودان مع نهاية القرن 19، جعل الحراطين لا يكثرثون مع مر السنين بهذه الوظائف.

نلمس من كل هذا تقسيما للعمل والسلطة، خلف تراتبا اجتماعيا شكل الحراطين قاعدته، كما هو الحال بالنسبة لباقي واحات درعة (56)، وعلى عكس ما نجده في تافلات (57) وتوات (58) حيث يشكل العبيد قاعدة الهرم.

يستخلص من كل ما سبق، أن مزج السود بالدخلاء قد يخلف فئة سميت بالحراطين، شكلت دوما غالبية ساكنة المجتمع التمنارتي، إلا أنه لعوامل محلية وإقليمية تراجع نفوذها لصالح «الدخلاء» البيض، فعملت على دعم وجودها الاجتماعي والاقتصادي بطرق بررت استمراريتها وعدم نزوحها نحو شمال الأطلس أو نحو الصحراء.

(53) تؤكد مختلف الشهادات، أن للحراطين تجربة ودارية بالزراعة والسقي راجع:

R. Montagne, La Limite du Maroc et du Sahara Atlantique, dans : Hespéris V.10, 1930, p. 112.

Mezzine, (L) op.cit, p. 268, note 10.

(54) وردت بعض الاعلام المقترنة بكلمة «الحراطين» في وثائق تجارية لدى العائلة الكنيرية، وهي قيد الجمع والتصنيف،

وتحدثت مونيبي عن الثقة التي توضع في حراطين المغرب الصحراوي Meunié (Dj), Le Maroc, op.cit, p. 326

(55) منها على الخصوص منجم تمزارات وتامدولت أؤفا.

(56) راجع: عبد الله حمودي، الانقسامية (م.س) ص. 205، 206 الهامش 23.

Mezzine, (L), op.cit.

(57)

A.G.P. Martin, op.cit, p. 21-22.

(58)